مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾

دراسة في بلاغة الأمر بالإحسان إلى الوالدين في السياق القرآني

د/ مبارك بن شتيوي الحبيشي(*)

ملخص البحث:

أمر الله – تعالى- بالإحسان إلى الوالدين، وكرر ذلك في كتابه الكريم في أحسن الألفاظ وأبلغ التراكيب؛ لعظيم حقهما، وسابق فضلهما، وتقديمهما على من سواهما من ذوي الحقوق عند عموم الوصية بالإحسان.

وتعنى هذه الدراسة بتحليل الأمر بالإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم تحليلاً بلاغياً يكشف عن دلالاته وأسراره؛ على ضوء ما قرره المفسرون والبلاغيون في بيان ألفاظه وخصائص نظمه في المقامات والسياقات المختلفة.

وتهدف إلى تتبع هذه الوصية العظيمة في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم؛ للوقوف على دلالاتها، وبلاغة نظمها، ومناسبتها للمواضع الواردة فيها. والكشف عن جانب رفيع من جوانب بلاغة كلام الله المعجز، وقد أسفرت هذه الدراسة عن العديد من النتائج، جاء من أهمها:

تنوع أسلوب الأمر بالإحسان إلى الوالدين، ومطابقته لما ورد فيه من مقامات، ومناسبته لسياقاته المختلفة، وكذلك اقتران الأمر بالإحسان إلى الوالدين بتوحيد الله –تعالى- والشكر لهما بشكره، مما يشير إلى عظم حقهما بعد حقه – عزوجل-، ومع ذلك لا طاعة لهما في معصيته- سبحانه تعالى.

الكلمات المفتاحية: بر الوالدين، البلاغة القرآنية، الألفاظ والتراكيب، المقامات والأسرار.

Abstract:

Allah Almighty commanded kindness to parents, and He repeated this in His Noble Book in the best words and most eloquent structures. Because of their great right, their precedence, and their priority over those other than them who have rights when the commandment to do good is general.

This study is concerned with analyzing the command to be kind to parents in the Holy Qur'an through a rhetorical analysis that reveals its connotations and secrets. In light of what commentators and rhetoricians have decided to explain its words and the characteristics of its systems in different situations and contexts.

It aims to trace this great commandment in its various contexts in the Holy Qur'an. To determine its connotations, the eloquence of its composition, and its suitability to the subjects contained therein. And revealing a high aspect of the eloquence of God's miraculous words.

(*) الأستاذ المشارك في قسم الأدب والبلاغة، في كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية mobarak٢٠٢@hotmail.com

This study yielded many results, the most important of which are:
The diversity of the style of the command to be kind to parents, its conformity to the positions mentioned in it, and its suitability to its various contexts, as well as the association of the command to be kind to parents with the unity of Allah - the Almighty - and gratitude to them by thanking Him, which indicates the greatness of their right after His right - the Almighty - and yet there is no obedience to them in Disobeying Him - Glory be to Him -.
Keywords: honoring one's parents, Quranic eloquence, words and structures, stations and secrets.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحابته ومن والاه.أما بعد؛ فقد أمر الله تعالى ببر الوالدين، وحث على الإحسان إليهما، وكرر ذلك في كتابه؛ تعظيما لهذه الوصية، وقرنها بتوحيده وشكره؛ لعظم حقهما.

وتكرار صور من التراكيب ذات الدلالات العميقة والأثر البالغ؛ مما تميز به كلام الله المعجز عن سائر الكلام؛ ذلك أن القرآن الكريم كتاب هداية وشريعة وبيان؛ يعنى بتربية النفوس، وتقرير ما يدعو إليه من الهدى والخير بأحسن الألفاظ وأبلغ التراكيب، وحق الوالدين وما يجب لهما من الإحسان من أعظم ما قرره الله تعالى في كتابه بعد التوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ مما جاء مكررا بأبلغ صورة وأوضح بيان.

ومن هنا انبثقت فكرة هذه الدراسة، ووقع الاختيار على أن يكون عنوانها: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ –دراسة في بلاغة الأمر بالإحسان إلى الوالدين في السياق القرآني.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع هذه الوصية العظيمة في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم؛ للوقوف على دلالاتها، وبلاغة نظمها، ومناسبتها للمواضع الواردة فيها، مع بيان جوانب من بلاغة كلام الله المعجز، والوقوف على بيان أهمية اقتران الأمر بالإحسان إلى الوالدين بتوحيد الله – تعالى– والشكر لهما بشكره، سبحانه وتعالى، مع تنوع الأساليب القرآنية لهذه المواضع المختلفة.

منهج الدراسة:

اتبَّعت في دراستي تلك المنهج الوصفيَّ التَّحليلي؛ القائم على تحليل نظم هذ الأمر الكريم في السياقات المختلفة، واستنباط دلالاته، ودقائق نظمه المعجز.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

الدراسات السابقة:

وتجدر الإشارة إلى أنه على كثرة الدراسات عن بر الوالدين في القرآن الكريم إلا أني لم أقف ــ فيما أعلم ــ على دراسة بلاغية تعني بتركيب الأمر بالإحسان إلى الوالدين، وسياقاته في القرآن الكريم، وهو ما تسعى هذه الدراسة للوفاء به.

حدود الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تقسم إلى مبحثين تسبقهما مقدمة، وتمهيد، وتقفوهما خاتمة وفهارس فنية للمصادر والمراجع والموضوعات؛ وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، وحدودها، والخطة المتبعة فيها.

التمهيد: في معاني البر والإحسان.

المبحث الأول: الألفاظ والتراكيب

المبحث الثاني: المقامات والأسرار:

أولًا – الوصية بالوالدين.

ثانيًا – الأمر بالإحسان إلى الوالدين.

ثالثًا – أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإحسان إلى الوالدين.

رابعًا – تحريم الإساءة إلى الوالدين.

الخاتمة

تمهيد: في معاني البر والإحسان

شاع التعبير عن الإحسان إلى الوالدين في لسان العرب بلفظ البر؛ خلافا لما ورد في القرآن الكريم من إيثار لفظ الإحسان، إلا في موضعين من سورة مريم على لساني يحيى وعيسى عليهما السلام.

وهذا ما يستدعي الوقوف على معاني البر والإحسان، وتلمس أوجه الاتفاق والافتراق بينهما.

أولًا– البر:

كلمة تدل على معاني الصدق والطاعة والصلة والإصلاح والاتساع في الإحسان إلى الناس، يقال: بر يبر إذا أصلح، وبر في يمينه إذا صدق، والبر الصادق، وأبر الله حجه وبره إذا قبله، والبر الجامع للخيرات كلها، يراد بها التخلق بالأخلاق الحسنة مع الناس بالإحسان إليهم، وصلتهم والصدق معهم، ومع الخالق–عز وجل– بالتزام أمره، واجتناب نهيه، وبر والديه توسع في الإحسان إليهما، ووصلهما وهو ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم، والتضييع لحقهم، يقال بر يبر فهو بار، وجمعه بررة، وجمع البر أبرار، وهو كثيرا ما يختص بالأولياء والزهاد والعبَّاد، وفي أسماء الله تعالى البرّ دون البار، وهو العطوف على عباده ببره ولطفه[١].

ثانيًا– الإحسان:

كلمة تدل على الإنعام والتنزيه والإتقان، والحسن ضد القبح ونقيضه، وهو نعت لما حسن، وحسن يحسن حسنا، وهو يحسن الشيء يعمله، ويستحسنه أي يعده حسنا، وحسنت الشيء تحسينا: زينته، وأحسنت إليه وبه، والعرب تقول: أحسنت بفلان وأسأت بفلان أي أحسنه إليه وأسأت[٢]، والإحسان ضد الإساءة، ورجل محسن ومحسان، وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان حين سأله جبريل صلوات الله عليهما وسلامه فقال: "هو أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك" وأراد بالإحسان الإخلاص، وقيل: أراد الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة؛ فإن من راقب الله أحسن عمله[٣]، وقوله عز وجل: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[٤] أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة، وأحسن به الظن نقيض

---

[١] ينظر: لسان العرب:٤/٥١–٥٤– برر.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ١٢/١١٤–١١٨–حسن.

[٣] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/٣٨٧.

[٤] الرحمن: ٦٠.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

أساءه، والفرق بين الإحسان والإنعام أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أحسنت إلى نفسي، والإنعام لا يكون إلا لغيره[١].

وعلى الرغم من هذا التقارب بين معاني البر والإحسان إلا أن بينهما فروقا دقيقة؛ ذلك أن ضد البر العقوق، وهو الشق، يقال: عق والديه إذا قطعهما، ولم يصل رحمه منهما[٢]، أما الإحسان فضده الإساءة، وهي فعل ما يكره أو يستقبح، وأساء الشيء أفسده، ولم يحسن عمله[٣].

وبهذا يظهر أن بينهما عموما وخصوصا من أكثر من وجه؛ فالبر توسع في الإحسان لذوي الرحم وللوالدين خصوصا، أما الإحسان فكتبه الله على كل شيء، ولذا كثر استعمال البر للوالدين المؤمنين في كلام العرب، والحديث الشريف، وكلام السلف، وبهذا المعنى ورد على لسان يحي وعيسى عليهما السلام في القرآن الكريم، أما استعمال الإحسان بالوالدين فيما عدا ذلك فجاء في سياق الوصية العامة بهما؛ مؤمنين كانا أو كافرين، أو في سياق الأمر بالإحسان إليهما وإلى غيرهما من ذوي الحقوق، أو إلى الناس جميعا.

المبحث الأول: الألفاظ والتراكيب

ورد الأمر بالإحسان إلى الوالدين في سبعة مواضع من القرآن الكريم؛ صرح فيها كلها بلفظ (الوالدين)، وبلفظ الإحسان (إحسانا) و(حسنا) إلا في موضع واحد منها.

وقد تكرر قوله (وبالوالدين إحسانا) بتقديم الجار والمجرور المثنى غير المضاف على المصدر المنصوب (إحسانا) في أربعة مواضع، هي: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٤] وقوله عزوجل: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[٥] وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ

---

[١] ينظر: لسان العرب: ١٢:١١٧-حسن.

[٢] لسان العرب: ١٠/٢٥٥-عقق.

[٣] لسان العرب: ١/٩٧-سوأ.

[٤] البقرة: ٨٣.

[٥] النساء: ٣٦.

إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١] وقوله عز اسمه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[٢] وجاء قوله (بوالديه إحسانا) وفي قراءة (حُسنا) بتقديم الجار والمجرور المثنى المضاف إلى ضمير الإنسان على المصدر المنصوب (إحسانا)، أو (حسنا) في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٣] وجاء قوله (وبوالديه حسنا) بتقديم الجار والمجرور المثنى المضاف إلى ضمير الإنسان على اسم المصدر(حسنا) في موضع واحد أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤] كما جاء قوله: (ووصينا الإنسان بوالديه) بتعليق الجار والمجرور المثنى المضاف إلى ضمير الإنسان بفعل الوصية؛ دون تصريح بلفظ الإحسان في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٥].

والمقصود (بالوالدين) "الأب والأم" على سبيل التغليب للأم؛ لأن الولادة لها بالفعل، وللأب بالسبب والنسب[٦]، وذلك بخلاف الأبوين في المواريث لعظم حق الأب فيها.

وفي التعبير (بالوالدين) استدعاء لأقوى العواطف والصلات، وتذكير بفضل الأم، وإلماح إلى عظم حقها في الصحبة والرعاية.

والتغليب بمعنى:" إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر يجعله موافقا له في الهيئة أو المادة"[٧]، باب واسع يجري في فنون كثيرة؛ كما يقول البلاغيون[٨].

---

[١] الأنعام: ١٥١.
[٢] الإسراء: ٢٣-٢٤.
[٣] الأحقاف: ١٥.
[٤] العنكبوت: ٨.
[٥] لقمان: ١٤.
[٦] ينظر: لسان العرب:٣/٤٦٧.
[٧] بغية الإيضاح: ١/١٩١.
[٨] الإيضاح: ١/١٨١.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

والمتتبع لاستعمالات لفظ (الوالدين) في القرآن الكريم يجده مخالفا لما ألفه الناس، فلم تطلق كلمة (الوالد) على الأب الذكر؛ منفردا كان أو مجموعاً، والمقصود به أو بهم الذكور دون الإناث، بل يطلق عليه أو عليهم كلمتا (الأب) و(الآباء)[١].

ومن ذلك قوله تعالى مخبرا عن إخوة يوسف -عليه السلام- ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾[٢]، وقوله ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[٣]، وقوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ﴾[٤].

وهذا في حالة الإفراد، وكذلك المواضع التي ورد فيها مجموعا، ومنها: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٦]. وقوله: ﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٧]. وقوله: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[٨]. وقوله ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٩].

فكلمة (الأب) هي اللفظ المستعمل في أسلوب القرآن للدلالة على الذكر أو الذكور، المولود لهم، أما كلمة (الوالد) فلم تطلق على الذكر المولود له إلا مندرجا مع الأم (الوالدة)، ويأتي هذا المسلك في مقام الإحسان إليهما، والوصية بهما، وصنع المعروف معهما، ومن ذلك: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾[١٠]. ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾[١١]، وقوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١٢].

---

[١] ينظر: خصائص التعبير القرآني، المطعني: ٢٦٦.
[٢] يوسف: ١١.
[٣] الأحزاب: ٤٠.
[٤] الأنعام: ٧٤.
[٥] البقرة: ١٧٠.
[٦] الزخرف: ٢٢.
[٧] الزخرف: ٢٤.
[٨] الصافات: ١٦-١٩.
[٩] يس: ٦.
[١٠] لقمان: ١٤.
[١١] الإسراء: ٢٣.
[١٢] البقرة: ١٨٠.

فالأب – هنا – والد على أسلوب التغليب؛ لأن الوالد الحقيقي هي الأم؛ لذلك عندما استدعى المقام معنى الولادة؛ لكونه سببا في حكم شرعي عدل عن اسم الفاعل (الوالد) إلى اسم المفعول (مولود له) في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ ﴾[1]؛ فاستعمل (المولود له) في التعبير عن الأب في الموضعين؛ لأن الأب مولود له في الحقيقة، وليس بوالد، وأتى باسم الفاعل المؤنث في الدلالة على الأم على جهة الحقيقة؛ لأنها والدة فعلا، فالأب في جميع الأحوال ليس والداً، وإنما هو مولود له، هذا هو الاستعمال القرآني، ولا يقدح في ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَٰلِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ ﴾[2]؛ لأن الوالد هنا ليس المراد به الأب وحده، أو الأم وحدها، فالسياق مقتض للعموم، فهو قريب من أسلوب التغليب؛ حيث غلب فيه جانب الوالدية على المولودية، فأطلق الوالدان عليهما[3].

وإذا كان الأب والداً على أسلوب التغليب؛ فإن الوالدة أب، كذلك على أسلوب التغليب؛ قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[5]؛ فغلب جانب الذكورة على جانب الأنوثة فأجري على الأم وصف الأبوة، وسر هذا التغليب – فيما يبدو– أن تغليب جانب الأنوثة في مقام الإحسان ملحوظ فيه ضعف الأنثى، فهي بالإحسان أولى، وللمعروف أهل، وتغليب جانب الذكورة في جانب الإرث، لأن الذكر أقوى من الأم؛ لأنه عصبة الميت، وللذكر – غالبا – حظ من الإرث مثل حظ الأنثيين.

فالتغليب في اللفظين جار على نسق حكيم؛ فصاحب الجانب الأقوى في المقام المسوق من أجله الكلام هو صاحب الجهة المغلبة المطوي معها الجانب الأضعف[6]

والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه؛ من جهة الحس، أو العقل، أو الشرع، أو الهوى، وهو اسم جنس لكل أنواع الخير، ويقابله السيئ، ومنه الحسنة والسيئة، ويفسر في كل موضع بما يليق به، والفرق بين الحسن والحسنى أن الحسن يقال في الأعيان والأحداث،

---

[1] البقرة: ٢٣٣.

[2] لقمان: ٣٣.

[3] ينظر: خصائص التعبير القرآني: ٢٦٨.

[4] النساء: ١١.

[5] يوسف: ١٠٠.

[6] ينظر: خصائص التعبير القرآني: ٢٦٩.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

والحسنى لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحسن أكثر ما يقال في تعارف الناس في المستحسن بالبصر، وأكثر ما جاء في القرآن من الحسن للمستحسن من جهة البصيرة[١].

والإحسان يطلق على الإنعام على الغير وعلى الفعل الحسي؛ فيقال: أحسن إلى فلان، وأحسن في عمله، وهو فوق العدل وأفضل منه؛ لأن المحسن يعطي أكثر مما عليه وهو فضل، والعادل يعطي ما عليه وهو واجب[٢]؛ ولذلك عظم الله ثواب المحسنين؛ فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٤].

وجعل الله الإحسان لسائر الناس بالقول؛ لأنه القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به؛ لأن أصل القول أن يكون على اعتقاد؛ فهم إذا قالوا للناس حسنا فقد أضمروا لهم خيرا، وذلك هو أصل حسن المعاملة مع الخلق[٥]. وأمر تعالى بالإحسان الفعلي حيث يتعين ويدخل تحت قدرة المأمور، وذلك الإحسان إلى الوالدين الذي يعني القيام بكل ما يطلق عليه حسن معهما، ومنه البر بهما، والعطف عليهما، والنزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله تعالى، والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما.

والإحسان يعدى بالباء إذا أريد به الإحسان المتعلق بمعاملة الذات وتوقيرها وإكرامها، وهو معنى البر، وشاعت تعديته بالباء في القرآن؛ كما في هذا التركيب، وإذا أريد بالإحسان إيصال النفع المالي عدي ب "إلى" تقول: أحسن إلى فلان إذا وصله بمال ونحوه [٦].

والأصل في معاني الباء الإلصاق، وهو معنى لا يفارقها [٧]. ولهذا اقتصر عليه سيبويه[٨]، ومن معانيها الغاية؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾[٩] أي: أحسن إلى [١٠]. ولما كان الإحسان يتعدى إلى متعلقه (بالباء وإلى) إذ يقال: أحسن به، وأحسن إليه كانت التعدية بالباء التي للإلصاق أبلغ؛ لإشعارها بإلصاق الإحسان بمن يوجه إليه؛ من غير إشعار بالفرق بينه وبين المحسن، والتعدية ب(إلى) تشعر بطرفين متباعدين يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر؛ كما أن الإحسان إذا عدي بالباء دل على معاني التوقير والإكرام.

---

[١] ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٢٣- حسن.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ١٢٥- حسن.

[٣] العنكبوت: ٦٩.

[٤] البقرة: ١٩٥.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير: ٥٨٣/١.

[٦] ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨٧/٢.

[٧] ينظر: مغني اللبيب – ابن هشام: ١٠٦.

[٨] ينظر: الكتاب:٢١٧/٤.

[٩] يوسف: ١٠٠.

[١٠] ينظر: مصابيح المعاني في حروف المعاني- الموزعي: ٢٠٤.

واختلف في إعراب هذا التركيب لاختلاف النظم والتوجيه، ولعل الأقضى لحق البلاغة أن يكون متعلقا بفعل محذوف من مادة الإحسان، ويقدر بحسب سياقه، وينتصب (إحسانا) حينئذ على المصدر المؤكد لذلك الفعل المحذوف، ونيابة المصدر عن فعله مطرد وشائع، وفي هذا ما لا يخفى من بلاغة الإيجاز، واستقلال التركيب، وتكثير المعنى[١].

وتقديم الجار والمجرور لإبراز الاهتمام بالوالدين، وتأكيد وجوب الإحسان إليهما، وتقويته بطريق القصر بالتقديم؛ مبالغة في استحقاقهما للإحسان؛ حتى كأنه لا إحسان إلا إليهما؛ لما لهما من فضل؛ كما تقتضيه مبالغة القصر بالتقديم.

والتنكير للتعظيم والمبالغة فيه، والتعبير بالمصدر أو ما ينوب عنه لتأكيد فعل الإحسان، والإشعار بتمامه، وشمول كل مراتبه وأنواعه، وكل ما يصدق فيه جنس الإحسان من الأقوال والأفعال والبذل والمساواة[٢]. والتعريف (بالوالدين) للاستغراق باعتبار والدي كل مكلف ممن شملهم الخطاب.

وكررت الوصية بهذه الصيغة في البقرة والنساء والأنعام والإسراء، وباختلاف يسير في المواضع الأخرى. وذلك لتقرير الأمر بالإحسان إلى الوالدين، وتثبيته في النفوس بأسلوب موجز بليغ أشبه ما يكون بمثل سائر يجري على الألسنة، ويتردد على الأسماع، ويستحضره المسلم في ليله ونهاره، وقيمة تكرار الأوامر والنواهي والإرشادات والنصائح إنما يكون بتكرارها بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة[٣].

والتكرار في كتاب الله تعالى جار على طريقة العرب في تقرير المعاني وتوكيدها وإبرازها في معرض الوضوح والبيان، ورقى به القرآن؛ ليكون أسلوبا بليغا لإظهار العناية بمقاصده في الهداية والإرشاد والتشريع؛ لغرس العقيدة وتهذيب السلوك[٤].

ومع ذلك، فقد جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين– على وجازته– في سياقات متعددة، وصور مختلفة من نظم الكلام؛ صدّرت في ثلاثة مواضع منها بفعل الوصية (وصينا)، ولم يصرح في أولها بالإحسان، وذكر في الثاني بلفظ الحسن (حسنا)، وقرئ في الثالث بهما (إحسانا) و(حسنا)[٥]؛ واقتصر في هذه المواضع الثلاثة على الوصية بالوالدين؛ بخلاف المواضع الأخرى التي تعدى فيها الأمر إلى غيرها؛ ممن يستحقون صورا من الإحسان، وفعل الوصية

---

(١) ينظر: الدر المصون – السمين الحلبي: ٤٦٢،٤٦٣/١.

(٢) ينظر: التحرير التنوير: ٦٨/١٥/٦.

(٣) ينظر: بلاغة القرآن– أحمد بدوي:١١٢،١١٣.

(٤) ينظر: خصائص التعبير القرآني– المطعني: ٣٠٠–٣٠١.

(٥) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: (إحسانا) وقرأ الباقون من الأربعة عشر (حُسْنا) ينظر: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر– لأحمد البنا: ٤٧٠/٢.

هو الأكثر استعمالا في هذا الأمر، وقد ذيل موضعه في سورة الأنعام بذكر الوصية ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾[١]، واستصحب المفسرون هذا المعنى في تفسيره حيثما ورد في القرآن الكريم، فقدر بعضهم الفعل المحذوف (استوصوا)، وفسروا (قضى) بمعنى: وصى[٢].

وجاء الموضع الأكثر تفصيلا لهذا الأمر في سورة الإسراء؛ مُصدّراً بفعل القضاء المسند إلى الرب تبارك وتعالى (وقضى ربك)، معطوفا على الأمر بتوحيده- عزوجل- مع بيان بليغ لما يكون به الإحسان للوالدين، ثم اتبع ذلك بجملة من الأوامر والزواجر التي شرعها الله تعالى لصلاح حال الإنسان ومآله.

واختص كل موضع من المواضع الثلاثة الأخرى في سورة البقرة والنساء والأنعام بخصوصيات في النظم تميزه عن غيره، وتؤكد مطابقته لمقامه، وذلك بمجيئه في سياق ذكر الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل بتوحيد الخالق والإحسان إلى الخلق، وما أمر به المسلمون من عبادة الله وحده والبر بوالديهم، والإحسان إلى عباده، وتلاوة ما حرم الله تعالى على الناس، وما أوصى به كل بني الإنسان، وقد جاء الأمر في هذه المواضع كلها كما جاء في سورة الإسراء مقترنا بالتوحيد، ومتبوعا بغيره من الأوامر والنواهي التي جاءت بها كل شرائع الله.

فتكرار هذا الأمر لعظم شأنه، بصيغة (وبالوالدين إحسانا) وما يقاربها في هذه السياقات المختلفة هو من البلاغة العالية، والنظم المعجز الذي تحدى الله الجن والإنس أنه يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؛ على ما تحاول الدراسة إبرازه والوقوف على مقاماته وأسراره.

المبحث الثاني: المقامات والأسرار

تكرر الأمر الكريم بالإحسان إلى الوالدين في الكتاب العزيز في مقامات متعددة، وسياقات مختلفة؛ من الوصية به، والدعوة إليه، والإخبار أنه مما قضى الله تعالى به بعد توحيده، وأخذ به الميثاق على بني إسرائيل، وأنه مما أوجبه الله تعالى على عباده، وحرم مخالفته في كل ما شرعه من الشرائع.

وسيق ذلك كله بأساليب محكمة بليغة؛ تعظم من شأن هذ الأمر الذي قرنه الله بعبادته، ووثق به أعظم صلة بين خلقه.

أولًا - الوصية بالوالدين:

أوصى الله تعالى الإنسان بوالديه في ثلاث سور مكية من القرآن الكريم؛ كان أولها نزولا سورة لقمان، ثم الأحقاف، والعنكبوت[٣].

---

[١] الأنعام: ١٥١.

[٢] ينظر-على سبيل المثال-: تفسير الطبري: ٢/٢٩٠.

[٣] ينظر: الإتقان: ١/٣٤،٣٣.

جاءت الوصية الأولى منها في سياق ذكر وصايا لقمان الحكيم، وهي وصايا ثمينة في غاية الحكمة، والدعوة إلى طريق الرشاد؛ مبدوءة بالتحذير من الشرك الذي هو أقبح الذنوب، وأعظمها عند الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

أكد الله –تعالى– وصية لقمان لابنه بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد بالوصية بأعظم حقوق العباد بعد حق الله تعالى، وهو حق الوالدين بالطاعة والعطف والرعاية، ومع عظم هذا الحق إلا أن حق الله تعالى مقدم عليه في عدم طاعتهما في الإشراك بالله تعالى.

وجاءت الوصية الثانية في سياق بيان أحوال المؤمنين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وأحوال الكافرين الذين طغوا وتجبروا في الأرض، وكذلك الإنسان في تعامله مع والديه صورة للحالين؛ إن كان مؤمناً أو كافراً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[2]

---

[1] لقمان: ١٢-١٥.

[2] الأحقاف: ١٣-١٩.

تعرض الآيات صورتين متقابلتين لنموذجين من النماذج البشرية في هدايتهما وضلالهما؛ نموذج الولد الصالح المستقيم في فطرته، البار بوالديه، الذي كلما ازداد سنا وتقدم في العمر ازداد تقى وصلاحا وإحسانا لوالديه، ونموذج الولد الشقي المنحرف عن الفطرة، العاق لوالديه، الذي يهزأ ويسخر من الإيمان والبعث والنشور؛ وتبين مآل كل منهما.

وجاءت وصية سورة العنكبوت في سياق الصبر على المحنة والابتلاء في الدين، ومن ذلك ما جاء في سبب نزول هذه الوصية عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: (كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يَا سَعْدُ مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنَّ دينك هذا أو لا آكل وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ فَتُعَيَّرَ بِي فَيُقَالَ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ، قُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّاهْ فَإِنِّي لَا أَدَعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَكَثَتْ يَوْمًا لَا تَأْكُلُ فَأَصْبَحَتْ قَدْ جَهِدَتْ، قَالَ: فَمَكَثَتْ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لَا تَأْكُلُ، فَأَصْبَحَتْ قد اشْتَدَّ جَهْدُهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ يَا أُمَّهْ لَوْ كَانَتْ لَكِ مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجَتْ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي وَإِنْ شِئْتِ فَلَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلَتْ، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ)[1]

وذلك لبيان وجوب الإحسان إلى الوالدين، مؤمنهم وكافرهم، مع عدم طاعتهما في معصية الخالق الذي أمر بالإحسان إليهما.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[2].

أي أمرناه أمراً مؤكداً بالإحسان إلى والديه غاية للإحسان، وإن كانا مشركين، ونهيناه عن طاعتهما، ولو بذلا كل ما في وسعهما، وحرصا كل الحرص على أن يشرك بالله؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصيته تعالى؛ فإليه مصير الخلائق جميعا، مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم؛ فيجازي كلاً بما عمل جزاء وفاقا.

وهذه الوصايا كلها عظات بليغة، وأوامر حكيمة؛ مستأنفة بالواو، ومفتتحة بفعل الوصية بصيغة الماضي؛ مسندا إلى ضمير العظمة (وصينا).

والوصية تعني التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ[3]. وفيها معنى التحريض على الموصى به، فهي أبلغ من مطلق الأمر أو النهي.

---

[1] أسباب نزول القرآن، للواحدي: ١٩٥.

[2] العنكبوت: ٨.

[3] المفردات في غريب القرآن: ٥٤٩.

واستعمال (وصّى) دون (أوصى) لأن صيغة (وصّى) تستعمل فيما هو أهم لما فيه من المبالغة؛ حيث يستعمل للأمور المعنوية ولأمور الدين؛ بخلاف (أوصى) فإنه يستعمل في الأمور المادية، ولم يستعمل في الأمور المعنوية وأمور الدين إلا في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[١]. وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة[٢].

وإسناده إلى ضمير العظمة يضفي على هذه الوصية أهمية وإجلالا؛ فهي وصية الحكيم العليم بما يصلح أحوال خلقه.

والمراد بالإنسان كل إنسان: مؤمناً كان أو كافراً، وخص بهذا اللفظ ليستشعر جوهر إنسانيته في علاقة مع بني جنسه، وربط ذلك بالوالدين لأنهما الأقرب من جهة، ولأنه ذلك يعود به إلى جذره الأول الذي تميز به عن المخلوقات كلها، فإذا انحرف الإنسان عن هذا لم يكن مخلوقاً عاصياً فحسب، وإنما يكون مخلوقاً مخلوعا من إنسانيته[٣]

وتظهر بلاغة ذكر الخاص بعد العام في اثنتين من هذه الوصايا بذكر الأم ومعاناتها في الحمل والوضع والإرضاع لمزيد من الاستعطاف، وبيان ما لها من الحقوق العظيمة التي تستحق الشكر ورد الجميل بالرعاية والإحسان.

وختمت الوصايا الثلاث كلها بما يؤكد وجوبها والحذر من مخالفتها، وذلك بتذييلها بالوعد الحسن لمن بر والديه واتبع الهدى، والوعيد لمن عق والديه، وتنكب سبيل الرشاد.

ثانيًا – الأمر بالإحسان إلى الوالدين:

أوجب الله تعالى الإحسان إلى الوالدين بقضاء شرعي بات محكم مفصل مقرون بتوحيده -عزوجل- في جميع شرائعه.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[٤].

وأمر هذه الأمة المسلمة بذلك في سياق توحيده، والإحسان إلى ذوي القرابة، والجوار، والصحبة، وأصحاب الحاجات من عباده.

---

(١) مريم: ٣١.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ص: ٧٠.

(٣) ينظر: آل حم- الجاثية والأحقاف:٤١٢.

(٤) الإسراء: ٢٣-٢٥.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

قال عزوجل: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[1].

جاء الأمر الأول في سياق بيان ما أوجبه الله تعالى على سائر خلقه من توحيده وإفراده بالعبادة، وشفع ذلك بالإحسان إليهما؛ لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة والإحسان ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر، ونظم ذلك في سلك الفعل (قضى) المستلزم للوجوب والإلزام والبت والإحكام؛ مسندا إلى اسم الرب تبارك وتعالى الدال على ربوبيته للخلق أجمعين؛ مضافا إلى ضمير الخطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكل من يتأتى منه الخطاب عموما ويصلح له؛ لأن الأمر جدير بأن يكون ذائعاً عاماً لا يختص بمخاطب دون مخاطب[2]، ثم جاء الأمر بالإحسان إليهما مؤكدا بمصدره، وفصّل تفصيلا تقشعر منه جلود أهل العقوق؛ بأنه بولغ في مراعاتهما؛ حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر، ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعته[3]. وأمر بالتلطف معهما، وارتقى بالأمر إلى التواضع لهما تواضعا يبلغ حد الذل والاستكانة؛ لإزالة وحشة نفوسهما أن صارا في حاجة إلى معونة من كانا يقدمانه على نفسيهما، وصيغ التعبير عن هذا التواضع باستعارة عجيبة، وعبارة شريفة، والمراد بذلك الإخبات للوالدين، وإلانة القول لهما، والرفق واللطف بهما.

وخفض الجناح في كلامهم عبارة عن الخضوع والتذلل، وهما ضد العلو والتعزز؛ إذ كان الطائر إنما يخفض جناحه إذا ترك الطيران، والطيران هو العلو والارتفاع، وقد يستعار ذلك لفرط الغضب والاستشاطة، وإنما قال سبحانه ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ ليبين – تعالى– أن سب الذل لهما الرأفة والرحمة؛ لئلا يقدر أنه الهوان والضراعة، وهذا من الأغراض الشريفة، والأسرار اللطيفة، كما يقول الشريف الرضي[4].

وختم هذا الترقي والتفصيل بالترحم على الوالدين –أحياء وأمواتا– جزاء ما قدماه من تربية وإحسان[5]، وجاء نظم الأمر مفصلاً مبسوطاً؛ بخلاف الأمر في السياقات الأخرى؛ لأن المقام مقام تشريع؛ ذكر فيه خمسة عشر تشريعا من أصول الأحكام في الإسلام.

---

[1] النساء: ٣٦.

[2] ينظر: الإيضاح:١/١٨٠

[3] ينظر: الكشاف: ٢/٤٤٤

[4] تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٢٠٠.

[5] ينظر: تفسير السعدي:٤/٢٧١.

وذيل الأمر بالإحسان إلى الوالدين وما فصل به، وما يقتضيه من اختلاف أحوال المأمورين من الامتثال والتقصير عنه قصدا أو عن بادرة غفلة بقوله –عز وجل– ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[1] ليكون المسلم على نفسه رقيبا[2].

أما الأمر الآخر بالإحسان إلى الوالدين في هذا المقام فجاء في سياق التشريعات التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع، والأصل في هذه العلاقة أن تقوم على الإحسان الذي كتبه الله على كل شيء، وأعظم مظاهر الإحسان وأسماها أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك؛ فالعبودية لله، والإخلاص له، والإحسان إلى خلقه هي سبب سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وبهما يعيش آمناً مطمئناً على هذه الأرض، ونواة المجتمع هي الأسرة من الأبوين والأبناء ومن يحيط بهم من أقارب وجيران وأصدقاء، وفيهم اليتيم والفقير وذو الحاجة؛ فلا بد من التكافل فيما بينهم، والمؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد.

وفي هذا السياق جاء النظم الحكيم للحث على الإحسان إلى الوالدين بآية محكمة جامعة؛ من تدبرها حق التدبر أغنته عنه كثير من مواعظ البلغاء، ونصائح الحكماء[3].

ومن المبالغة في الاهتمام بالإحسان إلى الوالدين، وما عطف عليهما أن قدم له الأمر بعبادة الله تعالى والخلوص له من الشرك، على وجه الإدماج؛ تنبيها على أنه أحق ما يتوخاه المسلم[4]، و تجديدا لمعنى التوحيد في نفوس المخاطبين، واهتماما بما جاء في سياقه من الأمر بالإحسان إلى أولى الناس بذلك، وهو من جعل سببا لإيجاده؛ فقال مشيرا إلى أنه – تعالى – لا يرضى من ذلك إلا درجة الإحسان (وبالوالدين إحسانا)، ثم ذكر أهل الصلة من ذوى القربى لتأكد حقهم بمزيد قربهم، ثم أتبع ذلك بمن تجب مراعاته لله أو لمعنى تفسد بالإخلال به ذات البين، وبدأ بما لله لأنه إذا صح تبعه غيره، وختم ذلك بتحذير الإنسان من أن يكون متكبراً في نفسه؛ متعاليا على الناس؛ يأنف من أقاربه وجيرانه[5].

ومن دقائق النظم الحكيم في سياق هذا الأمر:

– العدول إلى الإطناب في الجمع بين الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، ولم يرد على أسلوب القصر؛ كما في قوله (ألا تعبدوا إلا الله) لتقرير العبودية لله تعالى في نفوس المخاطبين، وتأكيد وجوب الإخلاص فيها، وتخليصها من كل شائبة.

---

[1] الإسراء: ٢٥.

[2] ينظر: التحرير والتنوير: ٦/١٥/٧٤.

[3] ينظر: صفو التفسير– الصابوني:٢٧٥.

[4] ينظر: روح المعاني– الألوسي:٨/٥٣.

[5] ينظر: موسوعة التفسير البلاغي: ٧/١٣٧.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

- تكرار الجار مع العاطف في قوله (وبذي القربى)، ولم يتكرر في ميثاق بني إسرائيل؛ لمزيد العناية بذوي الرحم في الإسلام.

- الجمع بين المختال والفخور من دون عطف، ولم يردا في القرآن إلا كذلك؛ للإشعار بمقاربة في معنى الوصفية، وفي آثارهما، وبأن الاختيال سبب في الافتخار[١].

- عموم جملة التذييل، وتأكيدها ب(إن)، وفصلها عما قبلها؛ لتجري مجرى المثل في حكايتها والتمثيل بها.

ثالثا - أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإحسان إلى الوالدين:

ذكّر الله- سبحانه- بني إسرائيل الذين كانوا في عصر التنزيل بما عهد به لأسلافهم من عبادات ومعاملات، وما كان منهم من إهمالها وترك اتباعها[٢].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٣].

وهذه الشرائع من أصول الدين التي أمر الله بها في كل شريعة[٤]. وأعظمها حق الله تعالى، ثم حقوق خلقه، وأعظمها حق الوالدين، وما يعين على ذلك كله من صلاة تصل العبد بربه، وزكاة يصل نفعها إلى خلقه.

وصدر الكلام بظرف الزمان (إذ) على طريقة القرآن عند الشروع في قصة أو غرض ذي شأن؛ للدلالة على عظم مضامين هذا الميثاق[٥].

والخبر في قوله تعالى (لا تعبدون إلا الله) في معنى النهي؛ بدلالة العطف عليه في قوله (و قولوا للناس حسنا) وقراءة (لا تعبدوا)[٦]، وهو أبلغ من صريح النهي؛ لما فيه من تنزيل ما يجب وقوعه منزلة الواقع؛ حثا على المسارعة في امتثال المطلوب؛ حتى كأنه تحقق، فهو يخبر عنه[٧]، وفصل عما قبله لأنه بيان للميثاق، وعطف ما بعده عليه ليكون مشاركا له في معنى البيان[٨]، وفي العدول عن الضمير إلى اسم الجلالة تفخيم لشأن العبادة، وتقرير لها باسمه -

---

[١] ينظر: المرجع نفسه: ١٤٣/٧.

[٢] ينظر: تفسير المراغي: ١٣٢/١

[٣] البقرة: ٨٣.

[٤] ينظر: تفسير السعدي:٧٤/١.

[٥] ينظر: موسوعة التفسير البلاغي: ٦٧٠/١.

[٦] ينظر: الكشاف:٢٩٣/١

[٧] ينظر: المصدر نفسه ٢٩٣/١

[٨] ينظر: التحرير والتنوير١ /٥٨٢/١.

تعالى – الجامع لمعاني الإلاهية؛ مع مناسبة الظاهر للظاهر فيما تلاه من أسماء مظهرة[١]؛ وذلك بخلاف ما تقدم في سورة الإسراء؛ مراعاة لأحوال المخاطبين، وإخراج الخطاب مخرج الكناية والإيجاز إذا كان للعرب، والعدول إلى الإطناب والتصريح إذا كان لبني إسرائيل[٢].

والإحسان إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين يكون بالقول وبالفعل إذا كان مقدوراً عليه، أما الإحسان لسائر الناس فيكون بالقول الصادر عن اعتقاد يضمر الخير لهم، وذلك هو أصل المعاملة مع الخلق[٣].

وجاء الإخبار عن مخالفتهم الميثاق مصدرا بحرف العطف (ثم) الدال على الترتيب والتراخي؛ فكأنهم أمهلوا حتى أقيمت عليهم الحجة قبل أن يحكم على أكثرهم بالتولي والإعراض، وفي الاستثناء إنصاف لهم[٤]، والتذييل بالجملة الحالية (وأنتم معرضون)، لتأكيد ذلك، ووصفهم بالإعراض عن الحق؛ حتى كأنه صفة لازمة لهم.

رابعا – تحريم الإساءة إلى الوالدين:

أمر الله– تعالى – نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو ما حرم الله عباده في سائر الشرائع، لا ما حرموه هم على أنفسهم؛ قال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥].

وهذه الوصايا العشر التي قال فيها ابن مسعود رضى الله تعالى عنه:" من سره أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمة؛ فليقرأ هذه الآيات" [٦]

وقد استهلت هذه الوصايا بأمر الله– تعالى– نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم أن يدعو المشركين للإقبال عليه؛ ليتلو عليهم من كتاب الله هذه المحرمات؛ لعظم شأنها، وللرد عليهم فيما حرموه على أنفسهم ما لم ينزل به سلطانا، وفي التصريح بالربوبية وإضافته إلى ضميرهم تذكير

---

[١] ينظر: البحر المحيط:١/٤٥١.

[٢] ينظر: الحيوان للجاحظ:١/٩٤

[٣] ينظر: التحرير والتنوير: ١/٥٨٣.

[٤] ينظر: المصدر نفسه: ١/٥٨٤.

[٥] الأنعام: ١٥١-١٥٣.

[٦] سنن الترمذي: ٥/٢٦٤– حديث: ٣٠٧٠.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

بنعم الله عليهم، وحث لهم على أن هذه الأمور ما هي إلا تربية لهم، وإصلاح لنفوسهم؛ لأنه تعالى مربيهم ومتولى أمرهم؛ فالأولى أن يشكروه باتباع رسوله، والامتثال لما يوحى إليه من ربهم بما فيه صلاح حالهم ومآلهم.

وجاء خمس منها بصيغة الأمر، والأخرى بصيغة النهي؛ لأن ما رغب فيه بلفظ الأمر فضده هو المنهي عنه المحرم؛ فيكون الجميع محرما بمنطوق النواهي وأضداد الأوامر(١)، وغلب لفظ التحريم ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ دون لفظ الأمر؛ ليكون في ذلك رد عليهم فيما حرموه من عند أنفسهم؛ كأنه قيل لهم: إن التحريم الحقيقي هو ما حرمه الله، وليس ما تحرمونه أنتم، على الأسلوب الحكيم؛ ليكون أبلغ في الرد.

وذكر الأمر بالإحسان إلى الوالدين ضمن المحرمات؛ للمبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة غير كاف في قضاء حقوقهما(٢)، وللإيذان بأن الإساءة إليهما ليس من شأنها أن تقع؛ فيحتاج إلى التصريح بالنهي عنها؛ لأنها خلاف ما تقتضي الفطرة السليمة، والآداب المرعية عند جميع الأمم، وإنما عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان؛ اعتناء بالوالدين؛ لأن الله أراد برهما، والبر إحسان، والأمر يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب(٣).

وقسمت هذه الوصايا في النظم القرآني على ثلاث آيات متتاليات؛ ذيل كل منها بقوله ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ تعظيما لشأن هذه الوصايا، وتأكيدا للاهتمام بها، ثم ختمت كل آية بفاصلة مناسبة لما سيق فيها من الأوامر والنواهي.

ذلك أن الآية الأولى اشتملت على مناهي عظام التحذير منها أبلغ منه في غيرها؛ فختمت بأعظم ما في الإنسان من السجايا، وهو العقل الذي لو حكم وأعمل عملاً صحيحاً لمنع من الوقوع فيها، واشتملت الآية الثانية على وصايا تعارف العرب على أنها من مكارم الأخلاق، ولكنهم تناسوها بغلبة الهوى، وغشاوة الشرك على قلوبهم؛ فختمت بالتذكير بها، واشتملت الآية الثالثة على ذكر الصراط المستقيم، والتحريض على اتباعه، واجتناب منافيه؛ فختمت بالتقوى بمعناها الشرعي المقتضي اتباع الأوامر واجتناب النواهي، واتباع الهدي القويم إلى الصراط المستقيم، فهي شاملة لكل ما تقدم، وكأنه تذييل عليه، وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى وجوها أخرى لهذا التناسب تؤكد بلاغة نظم هذه الآيات وما فيها من الوصايا بما يشبه التطريز بنظام فريد بديع (٤).

---

(١) ينظر: موسوعة التفسير البلاغي: ٤٦٢/٧.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم- أبو السعود:٣٠٢/٢

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٨/٨/٤. موسوعة التفسير البلاغي:٤٦٨/٧.

(٤) ينظر: ملاك التأويل- للزبير الغرناطي:٧٣، الإتقان: ١٣٦/٢. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن- زكريا الأنصاري:١٣٢،١٢١. التحرير والتنوير:١٦٢/٨/٤-١٧٤.

الخاتمة

وبعد؛ فأحمد الله تعالى على تيسير هذه الدراسة للأمر بالإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم، دراسة بلاغية تستجلي ألفاظه وتراكيبه، وتستنبط ما يدركه التأمل في كلام أهل العلم من مقاماته وأسرار نظامه في سياقاته المختلفة.

وأسفرت الدراسة عن جملة من النتائج، أبرزها ما يأتي:

١. تكرار الأمر بالإحسان إلى الوالدين في سبعة مواضع من القرآن الكريم؛ جاء في أكثرها بصيغته المشهورة ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

٢. استعمال لفظ الوالدين في الأمر بالإحسان إليهما؛ دون لفظ الأبوين؛ مراعاة للأم التي لها الولادة بالفعل وللأب بالنسب.

٣. مجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين بالمصدر النائب عن فعله؛ تصريحا بالمأمور به، وتأكيدا له، ولإفادة التعظيم بتنكيره؛ ليشمل جميع وجوه الإحسان.

٤. ورود الأمر بالإحسان إلى الوالدين في سياق ما شرعه الله تعالى لعباده، وأخذه عليهم من المواثيق، ومصاحبته للفظ الوصية في أكثر المواضع، ولمعناها في المواضع الأخرى؛ مما يؤكد أهميته، وأنه وصية من الله لعباده؛ يجب الامتثال لها، والعمل بمقتضاها.

٥. اقتران الأمر بالإحسان إلى الوالدين بتوحيد الله –تعالى– والشكر لهما بشكره؛ لعظم حقهما بعد حقه – عزوجل–، وتقديمهما على من سواهما من ذوي الحقوق عند عموم الوصية بالإحسان، ومع ذلك لا طاعة لهما في معصيته– تعالى–.

٦. تفصيل الأمر بالإحسان إلى الوالدين في آيات من سورة الإسراء المكية، وبيان ما أوجبه الله لهما من الرعاية عند الكبر، والصبر عليهما، والنهي عن أدنى مظاهر التضجر منهما، والتلطف بالقول معهما، والمبالغة في إظهار التذلل والخضوع لهما، ثم الدعاء بالرحمة؛ جزاء ما قدماه من الرعاية والإحسان.

٧. تنوع أسلوب الأمر بالإحسان إلى الوالدين –على وجازته وتقارب صيغه– ومطابقته لما ورد فيه من مقامات، ومناسبته لسياقاته المختلفة؛ مع علو طبقة ما ورد فيه من دقائق النظم وجمال التصوير.

٨. اشتمال سياقات الأمر بالإحسان إلى الوالدين على كثير من الخواص والمزايا في الألفاظ والتراكيب، وفواتح القول، وفواصل الآيات؛ مما لا نظير له في غير كلام الله المعجز.

وهذا ما يؤكد أهمية دراسة مثل الأوامر والنواهي في القرآن الكريم لاستجلاء بلاغتها وخصائص نظمها؛ إثراء للدرس البلاغي، وخدمة للكتاب العزيز.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، وبأسفل الصحائف إعجاز القرآن للباقلاني، مكة المكرمة:توزيع دار الباز.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- آل حم- الجاثية والأحقاف- دراسة في أسرار البيان: محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٤٠٣ه-١٩٨٣.
- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٢ه-١٩٩٢م.
- بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة: مكتبة الآداب،١٤١٢ه-١٩١٩م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحنون.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، تحقيق: محمود علي مقلد، بيروت: مكتبة الحياة،١٩٨٦م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المجموعة الكاملة، التفسير، المملكة العربية السعودية، عنيزة: مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،١٣٨٧-١٩٦٧م.
- الحيوان: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي أولاده بمصر.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٣٥-٢٠١٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي، بيروت: دار الفكر،١٣٩٨ه-١٩٧٨م.
- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الخانجي،١٤٠٨ه.

- الكشاف: الزمخشري، ومعه كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، بيروت: دار المعرفة.
- لسان العرب: جمال الدين بن منظور، بيروت: دار صادر.
- مصابيح المغاني في حروف المعاني: ابن نور الدين الموزعي، تحقيق: عايض العمري، الطبعة الأولى، القاهرة: دار المنار، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد الفيومي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: حسن أحمد، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الفكر،١٩٨٥م.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣-٢٠٠٢م.
- من بلاغة القرآن: أحمد بدوي، القاهرة: دار نهضة، ٢٠٠٨م.
- موسوعة التفسير البلاغي: نخبة من علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الطبعة الأولى، الشارقة: منشورات القاسمي، ١٤٤هـ-٢٠٢٣م.